فعالية الأنثروبولوجيا الطبية في فهم الصحة والمرض

- المثل الشعبي أنموذجا -

د. اسماعيل رابحي - جامعة بسكرة- الجزائر
أ. عائشة حوحو - جامعة بسكرة- الجزائر

الملخص :

يمثل المثل الشعبي جزءاً هاما من التراث الثقافي غير المادي الذي يتناول في مضامينه ومحتوياته العديد من التفسيرات والدلالات الثقافية–الاجتماعية التي تلخص تجارب الشعوب في تنظيم حياة الأفراد والجماعات في جميع أبعادها ومستوياتها.

ومن أكثر الأمثلة الشعبية المتداولة في أي ثقافة نجد ما يتعلق بمسائل المرض وطرائق العلاج و الوقاية ، وصحة الأبدان وقوة الأجساد وغيرها من مظاهر الخطورة والألم والخوف من الموت والمرض، وهو ما نسعى إليه خلال هذا المقال الذي سنتناول فيه نموذج المثل الشعبي كأحد إسهامات الأنثروبولوجيا الطبية في فهم قضايا الصحة والمرض.

Abstract :

The popular proverb Constitute an important part of the intangible cultural heritage, whose contents Includes many interpretations and cultural-social connotations that summarize peoples' experiences in organizing the lives of the individuals and the communities in all its dimensions and levels.

Among the most popular proverbs in any culture are the issues of disease, methods of treatment and prevention, the strength of bodies and other manifestations of danger and pain and fear of death and disease. This is what we seek in this article in which we will discuss the model of popular proverbs as one of the fundamental contributions of medical anthropology to understanding health and disease issues.

مقدمة:

ظهرت إرهاصات إثنوجرافية منذ العشرينات مهدت لظهور الانثروبولوجيا الطبية. إلا أنها ازدهرت في الخمسينيات حينما أسهمت في دراسة المشكلات الصحية، وشهدت الفترة من 1962-1972 تطورا ملحوظا، حدد هوية هذا العلم وقضاياه ومجالات الدراسة فيه.

وتبرز فعالية هذا العلم في تلك الإسهامات النظرية منها والتطبيقية التي سلطت الضوء على مفهومي الصحة والمرض فاختلفت في ذلك الدراسات والبحوث حول كيفية المحافظة على الصحة والوقاية من المرض، والتأثير السلوكي والثقافي على هذه العملية مرورا بالعوامل والأسباب الثقافي المسببة للمرض وأهم العلاجات الشعبية الشائعة في كل ثقافة وتمثلات كل من الصحة والمرض في عادات وتقاليد وأعراف الأمم والشعوب.

ويعتبر المثل الشعبي أحد المناهل الثقافية الشعبية المهمة التي اعتمدها العلماء والباحثين في هذا المجال بغية وضع مفهوم أنثروبولوجي واضح لكل من الصحة والمرض.

أولا: الأنثروبولوجيا الطبية.

1. تقديم الأنثروبولوجيا الطبية:

يرجع تاريخ الأنثروبولوجيا الطبية كمجال فرعي من الدراسات إلى خمسينيات القرن الماضي و ذلك على الرغم من أن تاريخ العلاقة التبادلية بين الطب والانثروبولوجيا يرجع إلى نهاية القرن التاسع عشر من خلال الإرهاصات الأولى للعالم الأنثروبولوجي "فيرشو" "Virchoa" المعروف باهتماماته في مجال الطب الاجتماعي.

ويمكن أن توصف الأنثروبولوجيا الطبية باختصار وبشكل عام بأنها دراسة المعتقدات الثقافية و الممارسات الاجتماعية المرتبطة بمصدر فهم وإدارة الصحة والمرض.[1]

ويعرفها "فوستر" "Foster" بأنها "علم الثقافة الحيوية الذي يعنى بكل الجوانب البيولوجية والاجتماعية-الثاقفية في السلوك البشري، والذي يهتم بصفة خاصة **بالطرائق**

والأساليب التي تفاعلت بها هذه الجوانب خلال التاريخ الإنساني للتأثير في الصحة والمرض.[2]

ويمكن أن تعرف أيضا بأنها دراسة التقاليد المتنوعة للعلاج والتداوي بما في ذلك المعالجة الطبيون وكذلك منهج وإيديولوجية وفلسفة الأسباب والنتائج.بالإضافة لدراسة التقاليد والموروثات أو السلوكيات الثقافية التي تؤدي إلى أو تنتقص من صحة الفرد والمجتمع. كما يندرج داخل هذا التعريف معرفتنا ورؤيتنا للعادات الغذائية والأعشاب الطبية بالنسبة لأسلافنا لقدماء. و تمثل الأنثروبولوجيا الاكلينيكية التطبيق لهذه المعرفة المقارنة.[3].

عموما فإن الأنثروبولوجيا الطبية يبحث في العلاقة بين الثقافة (باعتبارها الموضوع الأساسي في الأنثروبولوجيا) والصحة والمرض (باعتبارهما موضوعي اهتمام الطب). لذلك فهي تعني الدراسة الكلية المقارنة للثقافة، ومدى تأثيرها على المرض والرعاية الصحية.[4]

إن الاهتمام بقضايا الصحة والمرض تمخض عن ظهور الأنثروبولوجيا الطبية لذلك تؤكد جل الدراسات والبحوث الانثروبولوجيا على دور الثقافة في فهم قضايا الصحة والمرض وعلى أن استيعاب هذهالأخيرة لا يتم إلا يتم بمعزل عن البناء الاجتماعي والثقافي للمجتمع.[5].

ذلك أن هذه الثقافة تحتوي على مجموعة من العناصر التي تمارس تأثيرها بوضوح على الصحة والمرض، وتحكم تصرفات الإنسان من خلال الموجهات السلوكية التي تتضمنها. إنها تتخلل معظم صور السلوك الإنساني في العادات الاجتماعية وعادات التربية والنظافة، والمعتقدات والأمثال والمفاهيم والتصورات وغيرها من العناصر التي تحض على الحفاظ على الصحة ومعالجة المرض.[6]

عموما هناك مدخلان أساسيان لدراسة الأنثروبولوجيا الطبية هما:

أ. المداخل الثقافية البيولوجية/ وهذا المفهوم يشير إلى الرؤية الأنثروبولوجية للأساليب التي يتكيف بها الناس مع بيئتهم يغيرون من هذه البيئة لكي تصبح الأحوال الصحية أفضل أو أسوء و تشتمل على:

- التطور البشري والصحة والطب.
- الاختلافات البيولوجية في البشر.
- الآثار البيولوجية وتاريخ الصحة.
- البيانات الثقافية والسياسية للمرض.

ب. **المداخل الثقافية/** وتؤكد هذه المداخل الثقافية على دور الأفكار و المعتقدات والقيم في صياغة نظم تصنيف المرض وإعداد البرامج الطبية لعلاج الأمراض. وتشتمل هذه الأخيرة على:

- النظم الطبية العرقية والمعتقدات.
- البناء الاجتماعي للمرض والناتج الاجتماعي للصحة.
- المعالجون من منظور الثقافات المختلفة.
- الثقافة و المرض والصحة العقلية.
- الأنثروبولوجيا الطبية النقدية.[7]

2. السياق الثقافي والاجتماعي للأنثروبولوجيا الطبية:

لقد أصبح فهم السياق الثقافي للصحة والمرض أمرا معترفا بأهميته الحيوية في السنوات الحالية.نظرا للعلاقة المعقدة التي تقوم بين الرعاية الصحة وأنماط الحياة ووسلوكيات الناس وتوقعاتهم من حيث أسباب المرض والوقاية منه. لذلك تطور الأمر من الدراسة الكمية لأفراد المجتمع وسماتهم إلى دراسة المعتقدات والسلوكيات المشتركة عن الصحة والمرض في المجتمع.

كما أنه إضافة إلى فهم السياق الثقافي للصحة والمرض في المجتمع. لابد من دراسة التنظيم الاجتماعي للصحة والمرض في ذلك المجتمع والذي يشمل الأشكال التي يتميز بها الناس كمرضى، وكذلك الأساليب والطرائق التي يعرضون بها هذه المرض على الآخرين

(على المعالجين). كما ينصب الاهتمام بصفة خاصة على سمات ونوعيات هؤلاء المعالجين من حيث اختياراتهم وتدريباتهم ومفاهيمهم وقيمهم وتنظيمهم الداخلي، والطريقة التي يتكيف بها هؤلاء المعالجون داخل النظام الاجتماعي ككل من قبيل تدرجهم الاجتماعي وقوتهم السياسية أو الاقتصادية وتقسيم العمل بينهم وبين باقي أفراد المجتمع.[8]

ثانيا: مفهومي الصحة والمرض

مفهوم الصحة: تعرف الصحة في الجنس البشري بمدى التواصل الفيزيقي والوجداني والعقلي للشخص وقدرته الاجتماعية في مواجهة بيئته. كما يعرف "بيركنز" "Pirkens" الصحة بأنها حالة من التوازن النسبي لوظائف الجسم والتي تنتج من تكيف الجسم مع العوامل الضارة التي يتعرض لها للمحافظة على توازنه.[9].

ويمكن تعريف الصحة من حيث درجاتها بأنها مدرج قياس أحد طرفيه الصحة المثالية، و الطرف الآخر إنعدام الصحة أو الموت، و بين الطرفين درجات متفاوتة من الصحة مابين الصحة المثالية – ومستوى الاحتضار.[10].

مفهوم المرض: يمثل المرض كما وصفته الموسوعة البريطانية –انحرافا ضارا ومؤذيا عن البناء الطبيعي أو الحالة الوظيفية للكائن الحي، حيث تظهر عليه عادة علامات وأعراض تدل على أن حالته غير طبيعية.[11].

أما من حيث المفهوم الثقافي للمرض فإن معظم المداخل الاجتماعية والسلوكية تحرص على إبراز دور الثقافة في تحديد معنى المرض والتعرف عليه وفهم أعراضه وأسبابه. حيث ان مفهوم ا معنى المرض ما هو إلا مفهوم ثقافي يتنوع من مجتمع إلى آخر و يعكس وجهة نظر سكان هذا المجتمع ودور المرض في حياتهم بل إن استجابة الفرد للمرض والتي تتم بطريقة معينة قد توضح بعض القيم الثقافية والاجتماعية الموجودة في المجتمع،او بمعنى آخر أن لكل جماعة استجابتها الخاصة للأمراض الموجودة ي مجتمعاتها مما يوضح مدى التباينات الثقافية الموجودة فيها.[12].

ثالثا: قضايا الصحة والمرض في الأنثروبولوجيا الطبية.

لقد ظهرت الأنثروبولوجيا الطبية كأحد أهم المجالات الحيوية التي يفسر بها الناس الموجودين في جماعات اجتماعية وثقافية مختلفة أسباب المرض وأنواع المداواة وأنماط العلاج التي يعتقدون فيها.[13] بحيث تؤكد الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية على أن لمهنة الطب علاقة وثيقة بالبناء الاجتماعي والثقافة. فإذا لم تكن العلاقة بين الصحة والمرض والثقافة واضحة المعالم، فإن علم الأنثروبولوجيا الطبية يتصدى لتوضيحها و إبرازها، والتأكيد على أهميتها. ذلك أنه وعلى الرغم من نجاح الطب الحديث في تفسير معظم الأمراض، وتقديم العلاج الطبي المناسب، وعلى الرغم من انتشار الخدمات الصحية في المجتمع، فان بعض قطاعات البناء الاجتماعي تصر على تمسكها بثقافتها.[14]

فقد أكد الأنثروبولوجيون الذين درسو الهدف الاجتماعي- الثقافي لهذا المجال أن المعتقدات والممارسات المتعلقة بالصحة والمرض في كل المجتمعات تعد ملمحا رئيسيا لثقافة هذه المجتمعات. كما تعد العادات والقيم المرتبطة بالمرض جزءا من ثقافة أوسع ولا يمكن دراستها في الواقع بمعزل عن هذه الثقافة. كما لا يمكن فهم لا يمكن فهم الطريقة التي يتفاعل بها الناس مع المرض أو الموت أو أشكال المصائب الأخرى دون أن يفهموا نمط الثقافة التي نشأوا فيها أو الثقافة التي إكتسبوها.[15]

من جهة أخرى نجد مجموعة كبيرة من مجالات الاهتمام المختلفة. تشكل نقاط تداخل بين الأطباء والأنثروبولوجيين. لأن الصحة والمرض لا يرتبطان بالعوامل البيولوجية فحسب، وإنما يرتبطان أيضا بالمصادر الثقافية للشعوب وبالسلوك الاجتماعي الذي يستند إلى هذه المصادر، فالمرض وعلاجه مجرد عمليات بيولوجية في ظاهرها. أما كيف يصيب المرض الإنسان؟ لأي أنواع المرض هي التي تصيبه، فهي تعتمد بالدرجة الأولى على عوامل ثقافية واجتماعية مرتبطة بالمريض في حد ذاته.[16]

عموما فإن قضايا الصحة والمرض في الأنثروبولوجيا الطبية تأخذ أشكالا عديدة نذكر من أهمها:

أ- العادات والتقاليد وقضايا الصحة والمرض: حيث تؤكد الدراسات الأنثروبولوجية الطبية على أن العادات الاجتماعية ترتبط بالصحة والمرض، وتمارس دورها في تحديد نوعية الإجراءات العلاجية ونوعية الخدمة الصحية التي يلجأ إليها المريض –الرسمية أو غير الرسمية-والجدير بالذكر أن العادات تحدد لنا كيفية الإعلان عن المرض، وأساليب التعبير عنه وطرق العلاج التي يمكن الاعتماد عليها، وهي تساعدنا –بوعي أو بدون وعي-في تحديد طريقة إعلاننا عن لمرض والشكوى منه وتحديد الأساليب العلاجية الأساسية والبديلة في مواجهة المرض فمثلا: إذا كان المرض شائعا ومألوفا ويمكن التنبؤ بمساره.فإن المريض لا يعرض نفسه على الطبيب إلا إذا كان راغبا في الاستفادة من الخدمات الصحية، ولكن لكما تباينت وشذت الأمراض وصعب التنبؤ بمجراها كلما خرجت الحالة من نطاق العادات الفردية إلى نطاق العادات الاجتماعية في اللجوء إلى الخدمة الصحية. من ناحية أخرى فإن هذه العادات تحدد نمط العلاج والتوقيت المناسب للجوء إلى الخدمات الصحية، و العادات المتعلقة بصحة الأم والطفل، من حيث التغذية والحمل والرضاعة، كما تؤكد دراسة العادات الاجتماعية في قضايا الصحة والمرض على سيطرة فكرة ضرورة الحصول على الدواء عند زيارة الطبيب وأهمية الإيحاءات الإيجابية أو السلبية التي يبلغها الطبيب من خلال تعاملاته مع مرضاه.(17)

ب- المعتقدات الشعبية والصحة والمرض: إن مفهوم الصحة والمرض يتحدد في ضوء اعتبارات منها المعتقدات الشعبية المتعلقة بوجود الإنسان،والمخلوقات المختلفة والكائنات وعلاقتها ببني البشر ورؤية الإنسان للصحة و المرض والحياة والموت **وتأثير الموجودات الطبيعية و فوق الطبيعية عليه كالجن والطبيعة و الحيوانات...الخ وبالتالي يتشكل سلوك أبناء الثقافة الواحدة في تفسير أسباب المرض وسبل علاجه. وقد فطن رواد الأنثروبولوجيا الطبية إلى العلاقة بين الممارسات الطبية والمعتقدات عند الشعوب وحمل "ريفرز** W.H Rivers" لوائها منذ عام 1927 حينما قدم دراسة بعنوان "الطب والسحر والدين" يركز فيها كطبيب وكأنثروبولوجي على دراسة الطب كنسق ثقافي للتوالى بعدها الدراسات الأنثروبولوجيا الاجتماعية لتناقش تلك العلاقة وتتحقق منها ميدانيا في ضوء

بعض المتغيرات المهمة كالطبقة الاجتماعية والفروق الجبلية والفروق الريفية –الحضرية وانتهت هذه الدراسات إلى أن المعتقدات السائدة في الوسط الاجتماعي تمارس تأثيرها الواضح على تقييم أعراض المرض، وعلى تفسير أسبابه بالتالي على اللجوء إلى الخدمة الصحية الرسمية أو الشعبية.

عموما يشير الأنثروبولوجيون إلى أن مركب المعتقدات الشعبية المرتبطة بقضايا الصحة والمرض لا يتزحزح ولا يتغير إلى حد ما. حتى في حالات قصور العلاج وفشل الاستشفاء إضافة إلى أن هذه المعتقدات تنشر سيطرتها على العديد من القضايا كالتغذية والعلاج والعقم والحمل والرضاعة والفطام ...الخ وحتى العلاقة الروحانية بين الإنسان وربه وما يرتبط بذلك من سخط ورحمة وعقاب.(18)

ت- الدين والطقوس والصحة والمرض: تدل الشواهد الإثنوجرافية على العلاقة الوثيقة التي تربط بين الدين وبين الصحة والمرض منذ العصور القديمة. فالواقع أن الدين يمارس دورا جوهريا في الاهتمام بالصحة،واللجوء إلى الخدمات الصحية، بما يتضمنه من أوامر ونواه تحض على الظافة والطهارة الروحية والجسدية والإسراع بالتداوي والإيمان بأن لكل داء دواء، ونظافة العقل بالتفكير والتدبر وبالتالي الوقاية من الأمراض الفيزيقية والعصبية والنفسية.

ث- القيم الثقافية والصحة والمرض: تؤكد دراسات علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الطبية على أن القيم للثقافية السائدة في المجتمع تؤثر على المستوى الصحي لأعضائه، ويتجلى تأثير هذه القيم مثلا في أنها تفرض قيودا على تناول أطعمة معينة موجودة بالفعل مما يسبب نقص التغذية وما وراءه من سوء التغذية كالقيم التي تحث على تحريم أكل لحوم الأبقار في الهند ما ينتج عنه نقصا في البروتين والتسبب بمرض الأنيميا. وتنتشر فكرة سيطرة القيم على قضايا الصحة والمرض من حيث تأثيرها على اختيار الطعام ونوعه ومتطلبات العلاج في البيئات التقليدية وحم الأسر والتوزعات السكانية وتحديد الأسلوب المناسب الذي نشكو به من المرض والطريقة التي نستجيب بها للعلاج كأن تمتنع أو تمنع المرأة في بعض

المجتمعات من زيارة الطبيب ومن ان تنكشف عنه لمجرد انه رجل و تصر على اللجوء إلى طبيبة بدلا عنه دورن النظر إلى مهارة أو خبرة كلاهما.(19)

رابعا: المثل الشعبي

يعتبر المثل الشعبي من أهم وأصدق وأكثر تجارب الإنسان حكمة وخبرة ولكل شعب من الشعوب أمثاله الخاصة به، ولعله من الهام القول بأن الأمثال الشعبية هي ألفاظ وجمل نطق بها فرد في المجتمع في موقف من المواقف تنم عن حكمة أو تجربة قد يتعرض لها أي فرد منهم ويرددها. ولقد تضاربت التعريفات وتداخلت فيما يخص المثل الشعبي ولم يوضع تعريف جامع شامل، وإنما كلها تتقارب فيما بينها، وإذا نظرنا إلى تعريف القدماء العرب للمثل نجد تعريفات متعددة منها:

قول **ابن التكيت**: «المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره».

وقال **ابن المقفع**: «إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق وأنفا للسجع وأوسع لشعوب الحديث».

وقول **إبراهيم النظام**: يجتمع في المثل أربعة لا يجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، إصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكتابة، فهو نهاية البلاغة».

أحمد أمين الذي يقول فيه: هي نوع من أنواع الأدب تمتاز بإيجاز اللفظ، وحسن المعنى، ولطف التشبيه، وجودة الكناية، ولا تكاد تخلو منها أمة من الأمم .فميزة الأمثال أنها من كل طبقات الشعب». (20)

خامسا: قضايا الصحة والمرض في مضامين المثل الشعبي.

قضايالصحة والمرض من أكثر المضامين التي ترد في الأمثال الشعبية بحيث توردها الشعوب في شكل جمل متناسقة ذات وزن معين تختصر تجاربهم العديدة مع المرض والموت و الصحة و العلاج.

إن الأمثال الشعبية لا تتمتع بصفة الجبر والإلزام المباشر على الفرد-التي تتمتع بها العادة والمعتقد والعرف-إلا أن لها وقعا نفسيا ومعنويا غير مباشر يدفع الأفراد إلى الانصياع إلى ما تقضي به قوة العادة والعرف والمعتقد عن قناعة ورضا. ومرد ذلك انها تنمي الدوافع الذاتية لشخصية الفرد. وتعده معنويا لتقبل واحترام كل ما تعارف عليه أبناء المجتمع. ولهذا يرتبط المثل الشعبي بقضايا الإنجاب والخصوبة ونوع المولود، وقيمته في الحياة والحفاظ على صحته بالوقاية والعلاج. ومن هنا تتضح الصلة الوثيقة بين الأمثال الشعبية وبين قضايا الصحة والمرض و الخدمات الصحية .

فإذا نظرنا إلى التراث الشعبي الأمريكي إلى الطبيب وجدناه يعتبره رجل الحكمة والقول السديد، ولذلك تسود تسميته **"بالحكيم"** لما له من معرفة وحكمة بالبناء الجسمي الإنساني ومن حيث صحته وسقمه. وتحمل المضامين الشعبية العربية نفس القيمة للطبيب. أم الأمثال العشبية المرتبطة بالصحة والمرض فهي تعكس المعتقدات التي يعتقد بها العرب عامة. ويسود الاعتقاد في الغالب بأن الحسد كثيرا ما يؤدي إلى المرض، وأحيانا يقضي إلى الموت و لهذا يحمل بعض الأفراد وخصوصا الأطفال الأحجبة والتحاويط للوقاية من العين والحسد. ذلك أن هذه الأمثال الشعبية تحض في مضامينها على الوقاية و الحيطة والتماس الحذر من الأسباب والظروف المؤدية إلى المرض حتى لا يقع. والأمثال الشعبية التي تقول بهذا المضمون "لا عندك ولدك عزيز اكسيه في الربيع" وهو مثل شعبي يحث على ضرورة حماية الطفل ووقايته من الجو المتقلب الذي نشهده في فصل الربيع.

كذلك يغالي المثل الشعبي -الشائع الآن-من قيمة التجربة الشخصية والخبرة، ويعتد بها أكثر من اعتداده بالطبيب ذاته وتشخيصه للمرض ووصفه للعلاج. فيقول المثل **"اسأل مجرب ولا تسال طبيب"** مما يؤثر سلبا على سرعة لجوء الأسرة أو المريض نفسه إلى الطبيب أو الوحدة الصحية. على أساس أن الخبرة والتجربة التي يشير عليه بها أهل الخبرة من الأهل والجيران يمكن أن تغنيه عن الطبيب.

من ناحية أخرى تلعب الأمثال الشعبية دورا خطيرا في عيادة المرضى وفي حثهم على اللجوء إلى الخدمات الصحية الرسمية. وعلى سبيل المثال، فإن كل المرض خطيرا

ويستدعي إجراء عملية جراحية خطيرة، فإن عواد المريض يحثونه و يشجعونه على الاقدام على تلك الجراحة بتعبئته معنويا و نفسيا من خلال الأمثال الشعبية. كالمثل القائل "ضربة بقادوم ولا عشرة بالفاس".(21)

ولأن الصحة والقوة والعافية هي الأساس في مجتمع يعتمد كلياً على القوة العضلية في أعماله واحتياجاته،فقد ركز المثل الشعبي على هذا الجانب، منتجاً الكثير من الأمثال التي تدعو إلى الوقاية من الأمراض، وتوضح بعض طرق العلاج لها، معتمدة على المثل الشعبي القائل (اللي عضو الحنش يخاف من الحبل) وهذا القول الشعبي يحض على ضرورة الحيطة والحذر والوقاية اللازمة لأن الإنسان الفطن يتعلم من تجاربه.

كذلك تحمل الأمثال الشعبية في مضامينها مبدأ الإيمان بالقضاء والقدر والأمل في الله لإن مجتمعنا مجتمع مؤمن بطبيعته، وهو بالتالي مقتنع بأن (ماكانش لي يموت قبل ساعتو) رافضاً بفطرته موضوع الانتحار أو الاستسلام للموت.

وللوقاية من الأمرض مجموعة من الطرق والأسباب التي انتبه إليها المثل الشعبي، ودعا إلى الاعتماد عليها لعل في مقدمتها نوعية الطعام وجودته من أجل بناء الجسم وصحته، فالطعام الجيد هو الذي يبني جسماً صحيحاً قوياً يساعد صاحبه في أداء دوره ووظيفته على أحسن وجه ، كالمثل الشعبي القائل "كول ما يعجبك والبس ما يعجب الناس" أي أن الإنسان عليه أن ينتقي ما هو أصلح ل-صحة جسمه و فائدته.

وطريقة تناول الطعام لم يغفلها المثل الشعبي لترابطها أيضاً مع الصحة والمرض كالمثل القائل "تغدى وتمدى وتعشى وتمشى" والمقصود منه تسهيل عملية الهضم.

بعيدا عن التغذية قد أشارت العديد من الأمثال الشعبية إلى ما للفصول والمناخ من دخل في صحة الإنسان أو علته، كالمثل القائل "زرق ولدك ولا تعرقو" وهذا المثل الشعبي يشير إلى خطورة الحرارة و التعرض لها في مقابل التعرض للبرد.

وقد حمل المثل الشعبي في طياته مضامين الأوجاع والآلام وطرق التعبير عنها في كل مجتمع كال مثل القائل "الي شاف الموت يستقنع بالحمى" وهو مثل يشير إلى شدة الأوجاع

في بعض الأمراض مقارنة ببعض الحالات العابرة وهذا المثل يدعو إلى التحلي بالصبر والاعتبار من الغير.[22].

عموماإذا نظرنا إلى الأمثال الشعبية في مجموعها من زاوية المضمون وجدنا انتماءها إلى أحد المضامين التالية:

1- قيمية: ومثال عليها الأمثال التي تعبر عن موقف من بعض المسببات المرضية، والتي أكثر ما تكون تلك المرتبطة بعادات الغذاء، مثل:"البس ما ستر و كول ما حضر"، وهي تستهدف أساسا وضع ضوابط ومحددات سلوكية تؤطر مواقف الصحة والمرض.

2- وصف بعض الأنواع من الالام ومحاولة تقدير شدتها، مثل: " الي ما ذاق المر لا يعرف قيمة الحلو" وهي تستهدف تبيان المفارقة والمماثلة بين الحالات الشعورية وكذا الوجدانية المسايرة للمرض والصحة.

3- التعابير التهكمية، مثل: "العمشا وسط العميان مكحولة الانظار".[23]

وتستهدف بالأساس الاشارة إلى قيمة الصحة مقارنة بالمرض، ونفس المبدأ في المفاضلة والمقارنة بين الأمراض على تعددها وتباينها.

الهوامش:

[1] محمد على محمد، سناء حسن الخولي وآخرين.(2011).دراسات في علم الاجتماع الطبي، دار المسيرة، عمان، الأردن، ص ص145-146.

[2] Foster G.M. and Anhderson B.G. "Medical Anthropology. New York: Wiley , 1978: pp.2-3.

[3] نجلاء عاطف خليل.(2006). علم الاجتماع الطبي –ثقافة الصحة والمرض،مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ص ص 122-123.

[4] علي مكاوي.(1994). الانثروبولوجيا الطبية-دراسات نظرية وبحوث ميدانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص12.

[5] نجلاء عاطف خليل.(2006). ص 153.

[6] علي المكاوي.(1984).الصحة و الظروف البشرية ، الكتاب السنوي لعلم الاجتماع ، العدد السابع، دار المعارف، القاهرة ، ص ص 322-323.

[7] Cecil Helman, **"Culture Health and Ilness an Introduction for Health Professionals"**, John wright & Sons, London,1995:Pp 123-124.

[8] نجلاء عاطف خليل.(2006).ص ص 141-142.

[9] إقبال مخلوف.(1991). العمل الاجتماعي في الرعاية الطلية-إتجاهات تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص 47.

[10] أمل البكري.(2002). الصحة والسلامة العامة، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن، ط3، ص 18.

[11] نادية محمود عمر، السيد عمر.(2003).علم الاجتماع الطبي-المفهوم والمجالات،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 263.

[12] مرفت العشماوي.(1996)الأنثروبولوجيا الطبية والطب الشعبي،الأنثروبولوجيا (علم الانسان)كلية الاداب، جامعة الإسكندرية، ص 202.

[13] (علي المكاوي.(1984)، ص ص 329-330.

[14] مريم أحمد مصطفى وآخرون.(1985). قضايا في علم الاجتماع الطبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،مصر، ص ص 34-35.

[15] نجلاء عاطف.(2006). ص ص 138-139.

[16] علي مكاوي.(1994). ص ص 15-16.

[17] علي المكاوي.(13-17 يناير 1985)**الثبات والتغير في العادات والتقاليد والمعارف الشعبية مع الإشارة إلى مجتمع الخليج**،بحث منشور مقدم إلى ندوة التخطيط لجمع ودراسة العادات والتقاليد والمعارف الشعبية المنعقدة بمركز التراث الشعبي لدول الخليج، الدوحة، ص ص 22-25.

[18] نبيل صبحي حنا.(1982)**الأنثروبولوجيا الطبية وخدمة قضايا الصحة والمرض في مصر**،الكتاب السنوي لعلم الاجتماع، دار المعارف القاهرة، ص ص79-81.

[19] نبيل صبحي حنا.(1982).ص ص 31-37.

[20] محمد سعيدي،المثل الشعبي، مفهومه ومناهج دراسته وتصانيفه في الدراسات القديمة والمعاصرة، مجلة الثقافة الشعبية، تصدرها جامعة تلمسان، العدد03، 1995، ص ص 19-20.

[21] علي مكاوي.(1994). ص ص 51-52.

[22] هشام عودة.(2011).الأمثال الشعبية الفلسطينية-قراءة معاصرة،دار دجلة للنشر و التوزيع، عمان الأردن، ص ص123-125.

[23] عبد الناصر كعدان، الأمثال الشعبية المتعلقة بالطب والصحة في بلاد الشام، **مقال علمي منشور على الرابط:** http://www.ishim.net/ankaadan6/proverbs.htm (يوم 19-01-2017 على الساعة 17:35).